تصوراته النقدية في ميدان الرواية.

يَعْتَبِرُ «باختين» أن:

«كلُّ ما هو إديولوجي يملك مرجعاً، ويحيلنا على شيء مَّا له موقع خارجٌ عن موقعه، وبعبارة أخرى، فكل ما هو إديولوجي هو في الوقت نفسه بمثابة دليلٍ (Signe)[137].

كما يعتبر الدلائل خاضعة لمعيار التَّثمين الإديولوجي؛ أي هل هي دلائل حقيقية أم دلائل خاطئة، ويترتب عن هذا، أن كل ما هو إديولوجي إلاّ وهو مُعبِّرٌ عنه بالدلائل، كما أنه يمتلك في الوقت نفسه قيمة دلالية (Valeur sémantique)[138].

ثم إن الدليل نفسه بتفاعلاته المختلفة، وكل النتائج التي يُولِّدها، وبالدلائل الأخرى التي يخلقها في المحيط الاجتماعي، كل هذه الأشياء تظهر بالضرورة في التجربة الخارجية نفسها. وهذه النقطة شديدة الأهمية، لأن «باختين» يريد أن يُوضِّحَ خطأ النزعة المثالية التي تعتبر الفكر مبدعاً خلاقاً للتصورات الإديولوجية المعبَّر عنها بوساطة الدلائل اللغوية، كما أنه يريد في الوقت نفسه أن يحارب النزعة السيكولوجية التي تعتبر هي الأخرى بأن الإديولوجيا ما هي إلا من فعل الوعي الفردي، وأن المظهر الخارجي للدليل ما هو، بكل بساطة، إلا رداء خارجي أو وسيلة تقنية تتمظهر من خلالها فعالية الفهم الفردي[139].

إن «باختين» يرى أن هاتين النزعتين (المثالية والسَّيكولوجية) تُغفلان حقيقة أساسية وهي أن الفهم نفسه لا يمكن أن يتمظهر، ويتجسد إلا بواسطة مادة دلالية (Matériau sémantique) يُعَبِّرُ عنها مثلاً حتى الخطاب «الجَوَّاني» نفسه. ذلك أن الوعي لا يمكنه إطلاقاً أن يُعَبِّرَ عن نفسه، أو يبرهن على وجوده كحقيقة إلا من خلال التجسد المادي في الدلائل اللغوية[140].

والخلاصة القيِّمةُ التي يمكن استنتاجها من خلال هذا التحليل هي أن اللغة، باعتبارها دلائل مركَّبةً في نسق معين، هي في الوقت نفسه إديولوجيا، كما أنها بالضرورة تجسيدٌ ماديٌّ للتواصل الاجتماعي[141]. **ولذلك فدراسة الدلائل اللغوية تعني في الوقت نفسه التعامل مع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، ومع الإديولوجيات الموجودة في الواقع،**

---

(137) **Mikhail Bakhtine: Le Marxisme et la philosophie du langage.** Ed. minuit, 1977. P. 25.

(138) **Ibid., P. 27.**

(139) **Ibid., P. 27 - 28.**

(140) **Ibid., P. 28.**

(141) **Ibid., P. 31.**